المبحث الثامن

مسجد ضرار

أُمة واحدة وقلب واحد

مسجد ضرار أمة واحدة وقلب واحد

نحمدك يا الله، ونثني عليك الخير كله فالأمور كلها من الله، والفضل كله من الله، والعز كله من الله، والنصر كله من الله، فيا عليمًا بالصدور اشرح لنا الصدور، ويا عليمًا بالخفايا نقِّ سرائرنا، ويا مطلعًا على عيوبنا استر علينا زلاتنا، نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلا أن تجعلنا من أهل القرآن الكريم، وأن تثبتنا بالقرآن، أنت الله الواحد الأحد، العظيم الأعظم، القوي الأقوى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

أي: ومع هذه البراهين القاطعة يتخذ فريق من الناس من دون الله أصنامًا وأوثانًا، وأولياء يجعلونهم نظراء لله تعالى، ويعطونهم من المحبة والتعظيم والطاعة، ما لا يليق إلا بالله وحده، والمؤمنون أعظم حبًّا لله من حب هؤلاء الكفار لله ولآلهتهم؛ لأن المؤمنين أخلصوا المحبة كلها لله، وأولئك أشركوا في المحبة، ولو يعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك في الحياة الدنيا، حين يشاهدون عذاب الآخرة، أن الله هو المتفرد بالقوة جميعًا، وأن الله شديد العذاب، لما اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم من دونه، ويتقربون بهم إليه.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، و صحبه الكرام، وكنَّا قد تحدثنا من قبل على أن الجدار لا يقع مرة واحدة إلا عندما يأذن الله سبحانه وتعالى، وإنما يأتيه تصدع، و توقفت عند كلمة تصدع للتحديد، والمعنى الذي أريد أن أقوله لك: إن الأمة يأتي لها الدمار، وتأتي لها الفتن على مراحل، هذه المراحل هي مراحل التصدع، والتصدع أى التنافر، أي

عدم الاتحاد، أى عدم الحب، أي البغضاء، أي الكراهية، وتأتي الكراهية؛ لأن القلوب متنافرة مع بعضها البعض.

وعندئذ عندما تكون وحدك، وليس لك إخوان، أو محبة فى الله تعالى؛ فإن الشيطان سيستأثر بك؛ أي سيتغلب عليك، كما علمنا حبيبنا رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة، والعامة، والمسجد**»[1].

قديمًا قالوا: إن شيخًا كبيرًا أراد أن يعلم أولاده عدم التنافر، وعدم الاختلاف، وعدم التصارع، فقال لهم ليحضر كل واحدٍ منكم عودًا من الخشب مثل السواك، ثم قال لهم: كل منكم يضع العود بجوار عود أخيه، عود في عود في عود، وكانوا عشرة أو أحد عشر؛ فاجتمعت الأعواد أو العيدان فيجوز هذا، ويجوز هذا. فقال: ليتقدم أحدكم لكي يكسر هذه الأعواد، أحد منكم يكون قويًّا ومفتول العضلات، يتفضل ويكسر هذه الأعواد، فتقدم آخر يلعب ألعاب قوى، وكذا... فقال: سأكسرها فأمسك بها ما استطاع أن يكسرها؛ لأنها متحدة؛ لأنها قطعة واحدة، ولأنها متآلفة فما استطاع أن يكسرها، أو أن يفك من عضدها، ثم قال لهم: أبوهم ليأخذ كل واحد منكم عوده فيكسره، فكسر كل واحد منهم عوده .

هل تَعَلَّمت الدرس؟ هذا هو الدرس طالما أن هذه الأمة مجتمعة، فهي في نقاء، فهي في محبة فهي في قوة، فإذا تنافرت هذه الأمة ذهبت أعوادها، وذهبت قوتها، ولا تنازعوا فتفشلوا، وتذهب ريحكم هذا كلام الملك، كما

---

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند الأنصار، باب: حديث معاذ بن جبل ﷺ، رقم الحديث: ٢١٠٢٠.

جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

أي: والتزموا طاعة الله، وطاعة رسوله في كل أحوالكم، ولا تختلفوا فتتفرق كلمتكم وتختلف قلوبكم، فتضعفوا وتذهب قوتكم ونصركم، واصبروا عند لقاء العدو، إن الله مع الصابرين بالعون، والنصر والتأييد، ولن يخذلكم.

متى يذهب ريحنا يا رب، الريح أي القوة، كناية عن القوة، متى يذهب ريحنا ونصبح دولًا، وبعد أن أصبحنا دولًا نتحول إلى دويلات؟ مثل العراق حفظها الله تعالى كانت دولة عظيمة وقوية، كان العرب يتباهون بها، وكنا نحب قوة العراق، ولكن الآن أوشكت العراق أن تكون دويلة، أو دويلات والإسلام لا يحب هذا أبدًا كما استمعت إلى قول الملك ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾، يظل التنازع فشلًا لماذا ؟

ليس هناك حكماء، وليس هناك حكام، هناك فرق بينهما، ليس هناك ناصحون لهذه الأمة، ليس هناك أناس لهم قلوب قوية نقيَّة حريصة على مصلحة الأمة تدفع عنها أعداءها، فقال لك الملك: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾؛ لأن عدم وجود كبير في المنطقة في المكان الناس ترجع له، معناه أن الناس تصارعوا وصاروا أحزابًا، وصاروا قلوبًا شتى، وصاروا متشاكسين إلا من رحم ربي؛ ولذلك خلقهم والاختلاف وارد، ولكن اختلاف على قدر محدد، أي لا يكون الاختلاف هو السمة الأساسية لهذه الأمة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

أي: ولتكن منكم أيها المؤمنون جماعة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وهو ما عُرف حسنه شرعًا وعقلاً، وتنهى عن المنكر، وهو ما عُرف قبحه شرعًا وعقلًا، وأولئك هم الفائزون بجنات النعيم .

هذا الكلام في سورة آل عمران فيه معانٍ شديدة، ومعانٍ لابد وأن نتعلمها وهي أن التنازع، والاختلاف، والتباغض كما جاء في الآية التي لحقتها في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٥].

أي: ولا تكونوا أيها المؤمنون مثل أهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء، فتفرَّقوا شيعًا وأحزابًا، واختلفوا في أصول دينهم من بعد أن اتضح لهم الحق، وأولئك مستحقون لعذابٍ عظيم موجع.

وكل هذه المعاني لا يجوز أن تكون من المسلم، ليس لك التنازع مع أحد، ولكن سامح واعف، قدِّم النصيحة، قدم المحبة اعتذر لأخيك لا حرج، وإذا أتاك أخوك معتذرًا إليك قل له: لا حرج، إني عفوت عنك، وكما عفوت عنك في الدنيا؛ فإني أسأل الله تعالى الملك أن يعفو عني وعنك يوم القيامة، وأن يأخذ بيدي ويدك يوم القيامة، كنَّا قد توقفنا عند هذه المعاني، وهي أن التصدع والاختلاف يؤديان إلى ضياع الأمة، وهلاكها، ولا تنازعوا فتفشلوا، وتذهب ريحكم.

واصبروا، أي: أن المخرج الوحيد لكم هو الصبر على الطاعة، لو قرأت في تاريخ الممالك الإسلامية ستجد جملة عجيبة، ربما بعض الناس لا يحبون أن يستمعوا إليها لا يجوز الخروج على الإمام - أي على الحاكم - حتى لو ظهرت بعض آثار الفسق لديه، ما دام يقيم الصلاة، ولا يجوز لك شق عصى الطاعة .

إن مفهوم الأمة الواحدة حتى لو جمعها رجلٌ ليس طائعًا، وليس تقيًّا، وليس صالحًا هذا أفضل من أن تكون دويلات شتى يأخذ هذا منها جزءًا، وهذا جزءًا، ويتكالب عليها الأعداء، ويأكل الجميع على موائدها، ويأخذ

الجميع منها، إن الله تعالى ما أراد لهذه الأمة إلا أن تعتصم بحبل واحد "كلمة حبل" تحدث عنها تبارك وتعالى في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

أي: وتمسَّكوا جميعًا بكتاب ربكم وهدي نبيكم، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم، واذكروا نعمة جليلة أنعم الله بها عليكم؛ إذ كنتم أيها المؤمنون قبل الإسلام أعداء، فجمع الله قلوبكم على محبته ومحبة رسوله، وألقى في قلوبكم محبة بعضكم لبعض، فأصبحتم بفضله إخوانًا متحابين، وكنتم على حافة نار جهنم، فهداكم الله بالإسلام ونجَّاكم من النار.

وكما بيَّن الله لكم معالم الإيمان الصحيح، فكذلك يبيِّن لكم كل ما فيه صلاحكم؛ لتهتدوا إلى سبيل الرشاد، وتسلكوها، فلا تضلوا عنها.

فربنا أعطاك حبل القرآن، وحبل الإسلام، وحبل الإيمان، وحبل الإحسان، وحبل المحبة، وحبل الإيثار، وحبل أي شيء يجمعنا جميعًا في حب الله تعالى، أين المتحابون في جلالي؟ من الذي ألف بين قلوبكم وبين قلوب العرب؟ الله هو الذي جمعهم على قلب رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام، من الذي أذهب العداوة من بينهم فتآلف المهاجرون والأنصار؟ الله ﷻ، من الذي جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجًا؟ الله ﷻ من الذي حول الأعداء.

فعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وأبو سفيان بن الحارث، والعباس ابن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهم جميعًا، كانوا أعداءً لرسول الله ﷺ في البداية؟ من الذي حولهم إلى صحابة، نقول عليهم الآن: رضوان الله عليهم؟! وهم الذين حاربوه في بدر، وحاربوه في أحد، وحاربوه في الخندق، ثم أسلم بعضهم في العام السابع، وبعضهم في العام الثامن من الذي ألف بين

قلوبهم؟ من الذي نقلهم من صفة العداوة إلى صفة المحبة؟ إنه الملك، إنه مالك الملك.

هل استشعرت ذات مرة أنه تبدلت علاقتك مع بعض الناس من العداوة، أو الكراهية إلى المحبة في الله تعالى، كما قال لك الملك: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٦٣].

أي: وجَمَع بين قلوبهم بعد التفرق، لو أنفقت مال الدنيا على جمع قلوبهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولكن الله جمع بينها على الإيمان، فأصبحوا إخوانًا متحابين، إنه عزيز في مُلْكه، حكيم في أمره وتدبيره .

وكما ذكرنا من قبل أن الباذنجان في ظاهره أسود؛ لكن في داخله أبيض، فإذا بك تعيد النظر مرة ثانية في الأمور؛ فتحولت عداوتك لفلان إلى محبة في الله ﷻ كل واحد بعد الدرس يحاول يتذكر موقفًا حَوَّله من عداوة إلى محبة، كما قال لك الملك: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣].

أي: لا أحد أحسن قولًا ممن دعا إلى توحيد الله وعبادته وحده، وعمل صالحًا وقال: إنني من المسلمين المنقادين لأمر الله وشرعه.

وفي الآية الكريمة حث على الدعوة إلى الله سبحانه، وبيان فضل العلماء الداعين إليه على بصيرة، وفْقَ ما جاء عن رسول الله محمدٍ ﷺ.

أيهما أحسن؟ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر:١٨].

أي: فبشِّر أيها النبي الكريم عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأحسن الكلام وأرشده كلام الله تعالى ثم كلام رسوله ﷺ، أولئك هم الذين وفقهم الله للرشاد والسداد، وهداهم لأحسن الأخلاق والأعمال، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة.

فاجعل نفسك دائمًا مع الأحسن، ولا تكن في الأسوأ، وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو مثلها، والتحية الإيمانية الإسلامية هي السلام، فعندما تقول لشخص: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أو حتى السلام عليكم، فقد أمنته أي صرت نقيًّا من ناحيته، وينبغي أن تكون كذلك أبيض من ناحيتي، إني أحييك باسم السلام، فماذا بقيَ في قلبك؟ بعد أن ذكرتك بالسلام بمالك الملك ذي الجلال والإكرام، ذي الطول والإنعام، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، ماذا بعد أن ذكرتك بكل هذا؟! قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤].

أي: ولا تستوي حسنة الذين آمنوا بالله، واستقاموا على شرعه، وأحسنوا إلى خلقه، وسيئة الذين كفروا به وخالفوا أمره، وأساءوا إلى خلقه، ادفع بعفوك وحلمك وإحسانك مَن أساء إليك، وقابل إساءته لك بالإحسان إليه، فبذلك يصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه قريب لك شفيق عليك.

أي: الذي كان بينك وبينه عداوة قديمًا أما الآن كأنه وليٌّ حميم، فتحولت عداوتك إلى محبة، وتحولت كراهيتك إلى محبة، فالذي كنت تكرهه صرت الآن محبًّا له، فسبحان من أنزل المحبة على قلوب عباده، وسبحان من جعل موسى عليه السلام محبوبًا في الأرض، فقال له: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩].

أي: ضعي ابنك موسى بعد ولادته في التابوت، ثم اطرحيه في النيل، فسوف يلقيه النيل على الساحل؛ فيأخذه فرعون عدوي وعدوه، وألقيت عليك محبةً مني فصرت بذلك محبوبًا بين العباد، ولتُرَبَّى على عيني، وفي حفظي، وفي الآية إثبات صفة العين لله ﷻ كما يليق بجلاله وكماله.

والمحبة التي تنزلت من الله جل في عُلاه على قلب سيدنا موسى عليه السلام هي التي جعلته إلفًا مألوفًا، وتجعلك إلفًا مألوفًا، وتجعلك محبوبًا عند الله ﷻ.

ومن هنا يتضح لنا أن العداوة يمكن أن تتحول إلى محبة، وأن التناحر، وأن الخلاف، وأن التنافر يمكن أن يتحول إلى صداقة، لكن هذا يحتاج إلى جهد، ربما تسئ الظن ببعض الناس، تظن أنه يحب التفاخر، ويحب أن يتعايش بمفرده، ولكن تجده في الحقيقة رجلاً متواضعًا منكسرًا لا يحب التفاخر ولا التعالي، ولا تستطيع أن تحكم على الإنسان من موقف واحد، وأنت لا تدري ما ظروفه في هذا الموقف، أو ما رد فعله في هذا اليوم، ربما كان حزينًا من موقف ما يتعايش فيه في هذا الوقت، فعندما قابلته وجدته بخلاف ما كان في ذهنك، لا تحكم عليه بهذا اليوم، ولا بهذا المشهد كيف يتحول العداء إلى محبة؟

وابحث عن أناس تعتقد فيهم أنك لا تحبهم إن كان جارك، أو قريبك، أو كذا، أو كذا من الذين لا تحبهم، ثم تبحث لهم عن حسنات فإذا بهذه العداوة تتحول إلى محبة كما قال لك الملك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

أي: ولا تستوي حسنة الذين آمنوا بالله، واستقاموا على شرعه، وأحسنوا إلى خلقه، وسيئة الذين كفروا به وخالفوا أمره، وأساءوا إلى

خلقه، ادفع بعفوك وحلمك وإحسانك مَن أساء إليك، وقابل إساءته لك بالإحسان إليه، فبذلك يصير المسيء إليك، الذي بينك وبينه عداوة، كأنه قريب لك شفيق عليك.

فإذا الذي كان بينك وبينه عداوة يصير الآن كأنه ولي حميم، وبعد هذا يا رب فقد جبرت كسرنا، فقلت: وما يلقاها إلا الذين صبروا، أي: هذه المواقف تحتاج إلى صبر وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم، فاللهم اجعلنا من أصحاب الحظ العظيم في الآخرة؛ لأنها هي الباقية؛ لأنها دار الحق.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، اللهم زكها أنت خير من زكاها، وكما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [التوبة:١٠٧].

أي: والمنافقون الذين بنوا مسجدًا؛ مضارة للمؤمنين وكفرًا بالله وتفريقًا بين المؤمنين؛ ليصلي فيه بعضهم ويترك مسجد (قباء) الذي يصلي فيه المسلمون، فيختلف المسلمون ويتفرقوا بسبب ذلك، وانتظارًا لمن حارب الله ورسوله من قبل وهو أبو عامر الراهب - الفاسق - ليكون مكانًا للكيد للمسلمين، وليحلفنَّ هؤلاء المنافقون أنهم ما أرادوا ببنائه إلا الخير والرفق بالمسلمين، والتوسعة على الضعفاء العاجزين عن السير إلى مسجد (قباء)، والله يشهد أنهم لكاذبون فيما يحلفون عليه. وقد هُدِم المسجد وأُحرِق.

فالله يشهد أنهم كاذبون، أنهم مفترون، أنهم غير صادقين في بناء المسجد، نعم هو مسجد كما ذكرنا من قبل، ورغم هذا فإن نبي الله تعالى صلوات الله عليه وسلامه أمر بهدمه، وأمر بحرقه رغم كونه مسجدًا .

ليس كل ما يلمع ذهبًا، وليس كل ما هو رقراق ماءً صافيًا، لابد وأن تغير نظرتك إلى الأشياء، وأن يكون الإيمان، وأن يكون مطلق الإيمان هو

الأساس في حكمك على الأشياء، كيف هذا ؟ بعض المساجد لم تقم على تقوى الله.

فعلى سبيل المثال: إذا جاء أحد الناس، وقام ببناء مسجد، هذه المساجد يرجع أساسها إلى نية أصحابها، إذا كانت قد بُنيت لله تعالى في الأصل كما قال الملك: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾، فإنها لا ينبغي أن تسمى لا تقل: جامع الحاجة "فلانة" أو الحاج "فلان"، لا أريد منك هذا إنما المسميات تسمى بأسماء الأماكن، بأسماء الأحياء، بأسماء الصحابة، وهكذا؛ بأسماء من القرآن الكريم، جامع الفرقان، وجامع الفتح، جامع النور، جامع الهداية، وهكذا، ولكن أن تسمى المساجد بأسماء أصحابها الذين قاموا بإنشائها فإن الإسلام لا يعرف هذا وهو أقرب إلى الرياء.

وسيأتي لك بعد هذا أن الإنسان يدخل بعض المساجد، فيجد فيها شرحًا عجيبًا من أول ما يدخل، يشعر أن صدره منشرح كأنه في الحرم، وبعض المساجد وربما يكون فخمًا جدًّا بكل معاني الفخامة، ولكن صدرك ينقبض، وأنت بمجرد أن تدخل تشعر بانقباض، وكأنك في سجن مع أن هذا بيت الله، ورغم أن هذا منقبض، ويتمنى لو خرج منه بسرعة؛ لأنه لم يُبنَ على التقوى، ولم يُؤَسَّس على الإخلاص، ولم يُرَدْ به وجه الله تعالى، سنعرف مع استعراضنا لسورة المائدة، ما مواصفات النقاء في المساجد؟

مسجد نقي، أي تعلق بمسجد، أي أحبه، كيف يشهد لي هذا المشهد يوم القيامة، وبعض المساجد تستشعر أنك لا تريد أن تغادرها، تجد نفسك مشدودًا للمسجد، حتى ولو كان زاوية صغيرة، ولكن تستشعر أن فيه ملائكة، وفيه إخلاص؛ لأن الذين بنوه أرادوا أن يتاجروا مع الله جل في علاه، ولم يريد ما به دنيا أبدًا، فإذا دخلت إليه تستريح النفس، ويستريح الصدر راحة عجيبة، وحتى الذين يخطبون فيه الجمعة يستشعرون بفتح عجيب.

وهناك مسجد أخطب فيه الجمعة منذ عشر سنوات؛ أستشعر فيه شرح صدر عجيب وفتحًا عجيبًا عندما أعتلي منبره، والناس ينتابهم إيمان شديد وبكاء عند الخطبة، ثم جلست مع بعض الناس الكبار في السن ما قصة هذا المسجد؟ لماذا عند الناس إيمان عال في هذا المسجد؟ وصليت بهم القيام ذات مرة في رمضان فكان بهذا الجامع نورانية عالية ليس لي فضل فيها قط، فسألت عنه فقالوا لي: إن هذا المسجد أنشأه إنسان صالح كان يحب قيام الليل، وكان متواضعًا، وكان يفترش الأرض، وكان ينام على الأرض، فأراد أن يبني هذا المسجد ففتح الله تعالى عليه فتحًا قويًّا كبيرًا حتى بنى هذا المسجد، وحتى أتمه، وحتى تاجر فيه مع الملك، وهو انتقل إلى الملك، لكن آثار الهداية والفتح، والشرح والتيسير، والتأييد والنصر من الله تعالى ما زالت موجودة إلى يومنا هذا.

هكذا في كل البيوت على وجه الأرض، وربما يكون هذا الكلام الذي قلته لك الآن لا ينسحب فقط على المساجد، فمن الممكن أن ينسحب على بعض البيوت، نعم البيوت العادية، المنازل التي نعيش فيها، وإن الشخص منَّا يدخل بيتًا يشعر أنه مستأنس فيه ومستريح له، ويحسُّ أن به حالة إيمانية عالية، وحالة من السكينة والطمأنينة، وحالة من شرح الصدر، ويدخل بيوتًا أخرى ويستشعر بانقباض الصدر فيه، فمن أين يأتي هذا؟ وكأن المسجد وهو مسجدٌ يمكن أن يكون فيه حالة من عدم الراحة والسكينة؛ لكونه لم يؤسس على التقوى ورضوان الله.

نعم، إن كان الغرض من إنشائه تفريق المسلمين محاربةً لله ورسوله، وإن كان الغرض من إنشاء المسجد أن يتحول الناس إلى أحزاب، وإلى تيارات، وإلى مذاهب، وإلى كذا، وإلى كذا، انظر ماذا قال الله تعالى؟

لقد ذكرنا لك قصة مسجد ضرار الذي أنشأه أبو عامر الراهب الذي تنصر، ودخل في النصرانية، وذهب إلى بلاد الروم؛ ليستنجد بقيصرها، وقال لأتباعه: ابنوا هذا المسجد وسآتي بالقيصر معي؛ لكي يخرج محمدًا

ﷺ من المدينة؛ ولكنه لم يستطع أن يأتي بقيصر، وإنما استطاع النبي نفسه - اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام - أن يذهب بعد هذا في غزوة تبوك، وأن يغزو الروم في أماكنهم، وأن يكون هناك نصرًا وفتحًا عظيمًا، وما استطاع أحدٌ أن يخرج رسول الله ﷺ من المدينة لا المنافقون ولا غيرهم ولا الذين قالوا: ليخرجن الأعز منها الأذل، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

أي: يقول هؤلاء المنافقون: لئن عُدْنا إلى " المدينة " ليخرجنَّ فريقنا الأعزُّ منها فريق المؤمنين الأذل، ولله تعالى العزة ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين بالله ورسوله لا لغيرهم، ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك؛ لفرط جهلهم.

أي: أن عبد الله بن أبي سلول سيخرج رسول الله ﷺ ثم يكون ابن أبي سلول هو الأعز، ويكون رسول الله ﷺ - حشاك يا رسول الله، حشاك يا حبيب الله - هو الأذل، يخرجن الأعز منها الأذل، فسموا رسول الله بهذه التسمية الصعبة في سورة "المنافقون"، والله يعلم إنهم لكاذبون، كما قال لك في سورة المنافقون، وكما قال لك هنا في سورة التوبة، والله يشهد إنهم لكاذبون.

فالأعمال التي فعلوها والأقوال التي قالوها تؤكد أنهم كاذبون، من يكره أن يصلي خلف رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام؟ إلا أن يكون منافقًا، من يكره أن يصلي بجوار عمر، أو بجوار أبي بكر، أو بجوار عثمان، أو بجوار علي رضوان الله عليهم جميعًا؟ لا يريدون أن يكونوا في معية هؤلاء الصحابة، ويريدون أن ينشقوا عن الطاعة، وأن ينشقوا وحدهم، وأن يصلوا في مسجد وحدهم يتآمرون، ويبيتون، ويحقدون، ويغلون، ويحسدون، ويتدارسون الكيد للإسلام لا يفعل هذا إلا منافق، ولابد وأن يكون منافقًا عليمًا بالنفاق، كيف هذا الكلام؟ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا

ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [التوبة:١٠٧].

كيف لك أن تعيش في مدينة رسول الله ﷺ، وتنشق على رسول الله ﷺ؟! كيف لك أن ترى الحرم المدني ولا تُصلي فيه؟! كيف تقبلها؟ ثم تبني مسجدًا آخر تجمع الناس فيه؛ لكي لا يصلوا خلف رسول الله ﷺ ثم يحلف، تحلف كيف؟ وتحلف على ماذا؟ وتحلف بماذا؟

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ﴾ هذا يسمى في النحو العربي بأسلوب التوكيد بكل معاني التوكيد، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى، نعم يحلف ويستهين بالله، فأى حسنى هذه؟! أتكره رسول الله ﷺ؟! أي حُسنى هذه تفرق المسلمين إلى فرق وجماعات شتى، أي حسنى هذه؟! ثم يحلف ويقسم بالله أني أقصد كذا، المنافق له منطق عجيب، وكل شيء يجعل له منطقًا، ويجعل له تأسيسًا فلسفيًّا، وهذا عجيب كما قال لك الله ﷻ، ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾. ماذا وصفهم الملك في سورة النساء؟ في قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء:١٠٨].

أي: يسترون من الناس خوفًا من اطلاعهم على أعمالهم السيئة، ولا يسترون من الله تعالى، ولا يستحيون منه، وهو عزَّ شأنه معهم بعلمه، مطلع عليهم حين يدبِّرون ليلًا ما لا يُرضي من القول، وكان الله ﷻ محيطًا بجميع أقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء .

وسمات المنافقين الذين ليس عندهم نقاء، و ليس لأعمالهم بقاء يستخفون من الناس، أي يخاف أن يعتب عليه أحد يقول له: لِمَ فعلت؟ يخاف من معاتبة الناس له يستخفي من الناس لو أراد أن يفعل معصية أو مصيبة، ولا يستخفون من الله، منتهى ضعف اليقين وهو معهم، مَن الذي معهم؟ وهو معكم أينما كنتم الله جل في علاه، وهو معهم؛ إذ يبيتون ما لا يرضى

من القول من الاستعداد للخيانة والتحريض والإيذاء وغير ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء:١٠٨].

اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ذا الجلال والإكرام، اللهم إنا نعهد إليك في هذه الحياة، ونشهدك، وكفى بك شهيدًا أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدًا عبدك ورسولك، ونشهد أن وعدك حق، ولقاءك حق، والجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأنك تبعث من في القبور، وأنك إن تكلنا إلى أنفسنا تكلنا إلى ضعف وذنب وخطيئة، وأنا لا نثق إلا برحمتك، فاغفر لنا ذنوبنا كلها، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، صلاة وسلامًا دائمين بدوام ملك الله .

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد الحبيب المحبوب، الذي تحبه الأرواح، وتحن إليه القلوب، وعلى آله وصحبه وسلم .

****